

الفصل السابع  
العادة السادسة  
تكاتف وتآزر وحقق المكسب المشترك





## الفصل السابع: العادة السادسة



### تكاتف وتآزر وحقق المكسب المشترك

إن هذه العادة هي تنويع للعادات السابقة، فإذا كان المرء إيجابياً وأخذ زمام المبادرة، وبدأ تجديد أسرته، والغاية واضحة في ذهنه، وبدأ بالأهم فالمهم، واعتبر أن أسرته أهم من عمله ومن أي شيء آخر، ثم مارس مسؤولياته وحاول أن يفهم أفراد أسرته وسعى لأن يفهموه، إذا فعل كل هذا فإنه سيصبح في وضع يمكنه من التكاتف والتآزر مع أفراد أسرته، حتى يحقق المعادلة:  $3=1+1$  أو أكثر، وحتى يحقق مكاسب مشتركة مع أفراد أسرته.

مثل هذا الأب الذي يحكي حكايته مع أحد أبنائه الذي قرر فجأة أن يترك فريق السلة بالمدرسة رغم اهتمام أبيه وإخوته الأكبر منه بهذه اللعبة اهتماماً كبيراً، فقال له أبوه: «إذا تركت فريق السلة فإنك ستترك أشياء كثيرة في حياتك، فلقد أردت أنا أيضاً أن أترك أشياء عندما كنت صغيراً ولكنني لم أفعل، وهذا أحدث فارقاً كبيراً في حياتي»، واستطرد قائلاً: «إن جميع إخوتك كانوا لاعبي سلة مهرة، والجهد المضني والتعاون مع الفريق يساعدهم في كثير من الأمور»، يقول الأب: وقد كنت واثقاً أن هذا سوف يساعده أيضاً، ولكن لم يبد على ابني أنه يريد أن يفهم أبداً، ورد على أبيه ببرود: «يا أبي أنا لست مثل إخوتي، ولست لاعباً جيداً، ولقد سئمت من مضايقة المدرب لي، ولدي اهتمامات أخرى غير السلة»، يقول الأب: كنت في منتهى الضيق؛ ولذلك انصرفت، وفي الأيام التالية كنت أتضايق كلما فكرت في القرار الأبله وغير المسئول لابني، فلقد كانت علاقتي به جيدة إلى حد ما، ولكنه ضايقني لأنه لم يهتم كثيراً بشعوري في هذا الصدد، وحاولت التحدث معه عدة مرات ولكنه لم يستمع إليّ.

أخيراً بدأت أتساءل: ما الذي جعله يأخذ هذا القرار؟ وصممت على معرفة السبب.. في البداية لم يكن يريد التحدث عن الموضوع، ولكن بعد إلحاح مني بدأ يبكي ويقول: «يا أبي أنت تعتقد أنك تفهمني ولكن هذا غير صحيح، فلا أحد يحس بشعوري»، وعندما أدرك أنني



أريد فعلاً أن أسمعهم وأفهمهم بدأ يُعبّر لي عن آلامه لمقارنته باستمرار بإخوته عندما كانوا في سنه، وكيف أن مدربه توقع أن يكون في مثل جودتهم؛ ولذلك شعر أنه لو ترك اللعبة ومارس لعبة أخرى فقد تنتهي هذه المقارنة، وحكى لي عن عدم الأمان الذي يشعر به ليس في كرة السلة فقط، ولكن أيضاً في باقي مجالات الحياة، وكذلك ذكر أنه شعر أننا فقدنا العلاقة الرقيقة بيننا بمجرد أن أبدى رغبته في ترك فريق السلة.

ولا بد أن أعترف أن كلماته هزتني، وشعرت أن ما قاله عن مقارنة مدربه ومقارنتي بينه وبين إخوته حقيقي، وشعرت أنني كنت مذنباً، واعترفت بذلك واعتذرت له، وأخيراً سألته عما إذا كان يجب لعب كرة السلة، فقال: إنه يجبها، ولكنه يكره الضغوط المرتبطة باللعب في فريق المدرسة الثانوية التي كان يلعب فيها إخوته، وبينما كنا نسير معاً قال: إن ما يجب أن يفعله هو أن يلعب في فريق يجد فيه المتعة في اللعب ولا يجد الضغوط، وبينما كان يتحدث شعرت بالارتياح لما يقول، وأعترف أنني أصبت بخيبة الأمل لأنه سيترك فريق المدرسة التي حقق أولادي الآخرون أمجاداً فيه، ولكنني كنت سعيداً بأنه لا يزال يريد اللعبة ويجبها، وذكر لي أن له صديقاً يلعب في فريق المدينة، وأنه شاهدتهم وهم يلعبون، وشعرت في كلامه بالإعجاب والاهتمام بهم، فسألته: «وهل تحب اللعب في فريق المدينة؟»، فأخبرني أنهم بحاجة إلى مدرب، ولذلك فإنهم لا يقبلون الآن أي لاعبين جدد.

في هذه اللحظة جاءت فكرة جديدة لكل منا، فقد شعرت أنني يمكن أن أجد الوقت لتدريب فريق المدينة، وهو قال لي: «أنت يمكنك أن تدرّب فريق المدينة»، فجأة شعر قلبي بالنور وأنا أفكر في المتعة عندما أدرّب الفريق الذي يضم ابني بين صفوف لاعبيه، وكانت الأسابيع التالية أسعد تجاربي الرياضية، وكانت أفضل ذكرياتي التي لن أنساها كأب، فقد لعب فريقنا (فريق المدينة) وكان الأداء ممتعاً، بالطبع أردنا أن نفوز وحصلنا على بعض الانتصارات، ولكن دون أن يكون أي منا تحت ضغط، وكان الأداء الممتع أهم لدينا من الفوز، وأصبح ابني -الذي كان يكره سماع صياح مدرب فريق المدرسة الثانوية وهو يصبح عليه في غضب- يسعد وأنا أصبح فيه وأشجعه: «اذهب أسرع يا بني ... لعبة جيدة ... تسديدة جيدة يا بني ... تمريرة جميلة»، وأصبحت كرة السلة سبباً في تعميق العلاقة بيني وبين ابني.



تحتوي هذه القصة على جوهر العادة السادسة، وكذلك جوهر العادتين الرابعة والخامسة، انظر كيف كان الأب وابنه محبوسين في وضع (الفائز / الخاسر) .. الأب يريد من ابنه أن يلعب السلة، وكانت دوافعه طيبة، ويهارس مسؤوليته عن ابنه؛ لأنه يعتقد أن لعب ابنه في الفريق سيفيده على المدى الطويل، والابن يريد أن يترك الفريق حتى تنتهي مقارنته بإخوته، وهو لا يجب التعامل مع الضغوط، ومهما كان القرار الذي سيتخذه سيكون هناك خاسر، ولكن لما قام أبوه بتغيير مهم في تفكيره، وحاول أن يفهم موقف ابنه، وعندما تحدثا معًا وتقاربا استطاعا الوصول للمشكلة الحقيقية، وعندما تكاتفوا وتآزرا وصلوا إلى طريق أفضل: حل جديد بالكامل مفيد لكليهما (مكسب / مكسب)، وهذا هو لب التكاتف والتآزر، وأن واحد + واحد يساوي أكثر من اثنين ... أكثر بكثير.

### 1- التكاتف والتآزر - الخير الأسمى لجميع العادات:

التكاتف هو أعلى ثمرة لجميع العادات، وهو السحر الذي يحدث عندما تكتشف أن واحد + واحد يساوي ثلاثة أو أكثر؛ لأن العلاقة بين أطراف الأسرة هي علاقة جزئية في نفسها، ولكن لها قوة محرّكة مؤثرة في تفاعل باقي الأطراف بعضهم مع بعض، وهي تنبع من روح الاحترام المتبادل والتفاهم المتبادل للوصول إلى شيء جديد، وليس للالتقاء في منتصف الطريق.

أفضل طريقة لفهم التكاتف في الأسرة هو مثال تكاتف أعضاء الجسم البشري، فالجسم ليس فقط ذراعين وساقين وقدمين ومخ ومعدة وقلب، ولكنه كيان مدهش متناغم متكاتف، يستطيع القيام بالعديد من الأشياء العظمية عن طريق عمل أعضاء الجسم معًا، فالذراعان معًا يستطيعان أن يفعلا أكثر بكثير من كل ذراع على حدة، أو كل ذراع بصورة منفصلة، وكذلك العينان: تكون الصورة أكثر وضوحًا من صورة كل عين على حدة، واستخدام الأذنين معًا هو الذي يتيح القدرة على تحديد مصدر الصوت، وهو ما لا يحدث مع الأذن الواحدة، والجسم كله يستطيع أن يحدد مصدر الخطر (صوت)، ثم يبصره (نظر)، ثم يسرع إليه (بالرجلين)، ثم يتعامل معه (باليدين والرجلين)، ولكن لو كان كل عضو يعمل منفردًا لأصبحت قدرة الإنسان أقل بكثير، ليس هذا فقط، ولكن تكاتف أعضاء الجسم يعني أن أي عضو يصاب يتكاتف معه باقي الأعضاء بالسهر، كما قال المصطفى ﷺ: «... كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري ومسلم).



ولهذا فرغم أن التكاتف يتعامل مع جزأين من أجزاء الأسرة (فردين)، إلا أن التعامل - الذي هو طبيعة العلاقة بين الناس - تجعل باقي الأجزاء تتكاتف مع هذين الجزأين، فتعامل الآباء مع الأبناء مبني على هذا التكاتف الذي يجب أن يسكن العلاقة بينهم جميعاً، وهنا يسكن العقل المبدع؛ أو البديل الثالث الذي هو أفضل من البديلين الموجودين، وهكذا مع التكاتف يصبح لديك ليس فقط التأثير المتبادل وخلق الرؤية المشتركة والحلول الجديدة والبدايل الأفضل، ولكن سيكون لديك أيضاً إحساس بالمسئولية المتبادلة تجاه القيم التي أوجدت هذه التكوينات الجديدة (الأسرة)، وهذا ما يربط الأخلاق بالثقافة، وهذا ما يشجع الناس على الأمانة والإخلاص، ويشجعهم على التعامل مع الموضوعات الأصعب وليس الهرب منها أو تجاهلها، أو تجنب الوجود كثيراً مع الناس؛ من أجل تقليل احتمال التعامل مع الموضوعات الصعبة.

وقد تفكر في التكاتف على أنه كشخص ثالث يتكون من الشخصين المتكاتفين، هذا الشخص الثالث يصبح له سلطة أعلى، ويجسد الضمير الكلي والرؤية المشتركة، ويبعد الناس عن سوء الأخلاق أو العطش للسلطة أو القوة الغاشمة، أو استلاب القوة من آخرين، أو أشياء أخرى مماثلة، ومع استمرار حياة الناس مع هذه السلطة الأعلى فإنهم يرون أشياء مثل: القوة والاحترام والمال كجزء من مسئوليتهم التي سيسألون عنها، ولكن عندما لا يعيش الناس تحت ظل هذه السلطة الأعلى، ويصبحون هم أنفسهم قانوناً في حد ذاتهم، فإن الإحساس بهذا الشخص الثالث يتفكك، وتصبح ثقافة أفراد الأسرة مستقلة أنانية وليست متكاملة، ويبطل سحر التكاتف، وبذلك ينبع العنصر الأساسي للتكاتف من السلطة الأخلاقية للثقافة التي هي مسئولية كل شخص.

### 1-1 التكاتف عمل خطير:

التكاتف هو الخطو نحو عالم مجهول، بمعنى أن تحلّي كل طرف عن البديل الذي لديه أملاً في الوصول إلى بديل ثالث أفضل من كليهما ينطوي على خطورة؛ لأن عملية إيجاد هذا البديل الثالث تقترب من المجهول ونهاية العقل، وما تبدأ به ليس هو نهايتك، وهو يتحرك من المعلوم إلى المجهول، لإيجاد شيء جديد بالكامل، وهو بناء علاقات وقدرات؛ لذلك لا يتعين عليك أن تدخل في هذا الموقف وتبحث عن طريقك بمعرفة مسبقة للنتائج النهائي؛ بل



تدخل بدون معرفة ما سوف ينتج عنه هذا التكاثر، ولكنك تأمل أن يكون أفضل كثيراً من أي شيء تتوقعه .. هذا العمل خطير ومحفوف بالإنارة والمغامرة؛ فهذه لحظة سحرية للتأثير المتبادل؛ حيث إنك لا تعرف ما سوف يحدث، ولذا فأنت في خطر.

ولهذا فإن أول ثلاث عادات تعتبر جوهرية جداً، فهي تمكنك من تطوير الأمن الداخلي الذي يعطيك الشجاعة لكي تحيا مع هذا النوع من الخطر، ويحتاج الأمر للكثير من الثقة لتكون متواضعاً، ويحتاج أيضاً لكثير من الأمن الداخلي لتحمل الخطر، وهذا النوع من الأمن الداخلي هو الذي يتسبب في التواضع والتأثر بسهولة بمعاناة الآخرين، وبذلك تتوقف العملية عن أن تكون قانوناً في حد ذاتها؛ بل تصبح وسيلة للآراء المتبادلة، وأثناء هذا التبادل تبرز الطاقة التي تنبعث منها القوى الخلاقة.

وفي الحقيقة لا يوجد شيء أكثر إثارة وإلزاماً في العلاقات من ممارسة الإبداع معاً، والعادة الخامسة تعطيك المهارة لعمل ذلك؛ عليك أن تحاول أولاً أن تفهم ثم تسعى لكي يفهمك الآخرون، أي عليك أن تتعلم أن تستمع بالأذن الثالثة لخلق العقل الثالث والبدل الثالث، أي عليك أن تسمع بقلبك باحترام كبير وعاطفة، وعليك أن تصل إلى النقطة التي يصبح عندها الأطراف الأخرى على استعداد للتأثر والتعلم والتواضع أمام العقل الثالث، أي أن التكاثر بين العقلين يمكن أن يصبح خلافاً، ويقدم البدائل والخيارات التي لم تكن هناك من قبل، هذا المستوى من التكامل يحتاج لشخصيات مستقلة، ولكنها تعترف بالطبيعة المتكاملة للمشكلة وبالظروف المحيطة وبال الحاجة للتكامل؛ وذلك حتى يمكنهم أن يختاروا تلك القوى المتكاملة التي تساعد على حدوث التكاثر.

وفي الحقيقة فإن العادة السادسة هي الخير الأسمى لجميع العادات، وهي ليست تكاتفاً لإتمام صفقات: حيث  $2=1+1$ ، وليست تعاوناً نسبياً حيث  $1.5 = 1 + 1$ ، وليس هناك اتصال عكسي أو تعاطف سلبي؛ حيث تستنفد أكثر من نصف الطاقة في العراك والدفاع، وبذلك يصبح  $1 + 1 = 1$  أقل من واحد، ولكن التكاثر هو موقف جديد، حيث  $3 = 1 + 1$  على الأقل .. إنه أعلى مستوى مثمر ومرضي من التكامل الإنساني، وهو يمثل الثمرة العليا على الشجرة، وليس هناك سبيل للحصول على هذه الثمرة إلا إذا زُرعت الشجرة وتمت تغذيتها، وأصبحت ناضجة لجني هذه الثمرة.



## 1-2 مفتاح التكاتف: ابتهج للتغيير:

العنصر الأساسي لخلق جو التكاتف هو تعلم تمييز الاختلاف والإعلان عنه، ونعود لمثال الجسم البشري وتناسقه، فإذا كان الجسم عبارة عن ذراعين فقط أو قلب فقط أو قدمين فقط فلا يمكن أن يعمل كما يعمل الجسم المتكامل؛ لأن الفروق والاختلافات بين طبيعة ووظيفة كل أعضائه هي التي تمكنه من هذا الأداء الرائع.

تحكي ابنة كوفي عن كيفية اعترافها بالفارق بينها وبين ابنتها وتثمينه، فتقول: عندما بلغت الحادية عشرة أعطاني والدي نسخة من قصة عظيمة وقرأتها بحب، وعندما قلبت الصفحة الأخيرة بكيت فقد عشت القصة بقلبي، واحتفظت بالقصة سنوات طويلة حتى أعطيها لابنتي، وعندما أصبح عمرها أحد عشر عامًا قدمت لها الكتاب، فقرأت منه أول فصلين بصعوبة ثم وضعته على الرف حيث ظل مغلقًا، فشعرت بخيبة أمل كبيرة بسبب ما افترضت أن ابنتي ستكون مثلي وتُعجب بالقصة، وتحب ما أحبه، ويقول مدرسوها عنها إنها سريعة الضحك وتحب الحياة وحساسة وتبحث عن الضحك في كل مكان، وقد قلت لزوجي يومًا: إن حماسها الزائد للأنشطة ورغبتها العارمة في اللعب والضحك أمر صعب بالنسبة لي؛ فأنا لم أكن كذلك.. كانت القراءة هي هوايتي الوحيدة في سنوات المراهقة، وكان عقلي يخبرني أنه من الخطأ أن أشعر بالإحباط لهذا الفارق بيننا، ولكن قلبي كان حزينًا لذلك.

هذه الأحاسيس غير المعلنة يحس بها الطفل، وأنا أعلم أنها كانت تشعر بذلك، وكان هذا يؤلمها، وكنت أعرف أن خيبة أملي هذه ليس لها أساس، ولكن بسبب حبي الشديد لها لم يتغير قلبي، وليلة بعد أخرى كنت أصلي من أجل الفهم، وفي ليلة نمت في فراشي وفي الصباح الباكر حدث شيء، مر بخيالي صورة ابنتي كامرأة ناضجة.. كنا امرأتين ذراعانا متعانقتان، ونبتسم في وجه بعضنا البعض، فكرت في أختي ومدى اختلافنا عن بعضنا، ولكني لم أتمنَّ أن أكون مثل أختي الأكبر مني، وأدركت أن ابنتي ستكون شخصًا ناضجًا يومًا، مثلي أنا وأختي، ولذلك لا يلزم لكي نكون أعز الأصدقاء ألا نكون مختلفين، وجاءت هذه الكلمات إلى عقلي: كيف تجربين على فرض شخصيتك عليها؛ بل لا بد أن تسعدي بالفوارق بينكما، ورغم أن هذه الفكرة استمرت ثانيتين، إلا أن هذا الوميض أيقظني وغير قلبي بدرجة كبيرة، الآن أخذت علاقتي بابنتي بعددًا مغايرًا تمامًا، مملوءًا بالمرح واللطف.



لاحظ كيف أن هذه المرأة في البداية افترضت أن ابنتها سوف تكون مثلها، ولكن ابنتها شخص مستقل، و فقط عندما تعلمت قبول ابنتها كما هي وقبول الاختلاف بينهما، أصبحت قادرة على الوصول إلى العلاقة القوية الكاملة معها التي أرادت من قبل، وهذا هو الحال في كل علاقة في الأسرة.

يقول كوفي: في يوم كنت ألقى كلمة تتناول الاختلافات بين فصبي المخ: الأيمن والأيسر، وسميت هذه الكلمة الإدارة من اليسار والقيادة من اليمين، وكنت أقدمها لشركة في فلوريدا، وخلال الاستراحة جاءني مدير الشركة وقال: «ستيفن، أنا كنت أفكر في موضوع محاضرتك لتطبيقه على زوجي وليس على عملي؛ لأنه توجد بيني وبين زوجتي مشكلة في الحوار، وأتساءل إذا كنت تقبل دعوتي للغداء معنا لتشاهد بنفسك» .. جلسنا نحن الثلاثة معًا، وبعد تبادل التحيات التفت الرجل إلى زوجته وقال: «يا حبيبتي لقد دعوت ستيفن لكي يرى إذا ما كان بإمكانه مساعدتنا بالنسبة للحوار بيننا .. أنا أعرف أنك تريدني مني أن أكون أكثر حساسية، فهل يمكنك أن تطلبي مني عملاً محددًا أفعله لكي أكون أكثر حساسية؟»، كان مخ الرجل الأيسر هو الذي يتحدث، ويريد معرفة الحقائق والأرقام والعلاقات، فقالت زوجته، «حسنًا، كما قلت لك من قبل: لا يوجد شيء محدد، ولكنه إحساسك العام بالأولويات»، هكذا كان عقلها الأيمن المسيطر يتعامل مع أحاسيسها والعلاقة مع زوجها، «ماذا تعنين بالإحساس العام بالأولويات؟ ماذا تريدني مني أن أفعل بالضبط؟ اطلبي مني عملاً محددًا»، «حسنًا، هذا مجرد إحساس»، هكذا كان مخها الأيمن يتعامل بالصور والأحاسيس: «أنا لا أعتقد أن زواجنا يهيك كثيرًا كما تقول»، «وماذا يمكنني أن أفعل حتى أجعله أكثر أهمية عندي؟ أعطيني شيئًا محددًا كي أفعله»، «من الصعب أن أعبر عن ذلك بالكلمات»، وهنا التفت إلي بعينيه، كما لو كان يريد أن يقول: هل تتحمل مثل هذا في زواجك يا ستيفن؟ ثم قالت زوجته: «هذا أمر يتعلق بالأحاسيس، والتي أتمنى أن تكون قوية لديك مثلي»، فقال لها: «يا حبيبتي هذه مشكلتك ومشكلة أمك، وفي الحقيقة إنها مشكلة كل امرأة أعرفها»، ثم بدأ يستجوبها وكأنه تحقيق قانوني قائلاً: «ألا تسكنين في المكان الذي تفضلينه؟»، «ليس هكذا أبدًا» قالتها متنهدة، رد - بصبر - قائلاً: «أنا أعرف، ولكنك طالما لن تخبريني بما تريدني بالتحديد فإنني أتصور أن أفضل طريقة لكي أعرف ذلك هو معرفة ما لا يعجبك بالضبط،



هل تعيشين في المكان الذي ترغبين فيه؟ «أعتقد ذلك»، «يا حبيبتي، ستيفن هنا لفترة قصيرة لمساعدتنا أعطيني إجابة محددة، نعم أم لا، هل تسكنين في المكان الذي ترغبين فيه؟»، «نعم»، «هذا طيب، هل لديك الأشياء التي تريدينها؟»، «نعم»، «حسنًا، هل تفعلين الأشياء التي تريدين أن تقومي بها؟»، واستمر هذا لبعض الوقت.

وكان من الواضح أنني لا أقدم أي مساعدة؛ ولذلك تدخلت وقلت: «هل هذه هي طبيعة العلاقة بينكما؟»، قال: «كل يوم يا ستيفن»، وقالت هي: «هذه حكاية زواجنا»، فنظرت لكليهما وفكرت، فوجدت أن كلاً منهما يعيش بنصف مخ، وسألت: «هل لديكما أطفال؟» «نعم، اثنان» فسألت غير مصدق: «حقًا؟ كيف أمكنكما ذلك؟»، سألتني «ماذا تعني بذلك؟»، قلت: «كنتما متعاونين فلم تجعلا  $1+1=2$  (أنتم الاثنان فقط)، ولكنكما جعلتما  $1+1=4$  (أنتم وأولادكما)، فهذا تعاون قوي؛ لأن الإجمالي أكبر من مجموع الأجزاء، كيف فعلتما ذلك؟»، قال: «أنت تعرف كيف»، قلت: لأنكما تغلبتما على الفوراق والاختلافات بينكما»، أردت أن أبين لهما أنهما ما زالا قادرين على التكاتف.

الآن قارن هذه التجربة بتجربة زوجين آخرين حيث كانت الأدوار معكوسة، قالت الزوجة: «أنا وزوجي لنا أساليب مختلفة في التفكير، فأنا منطقية أكثر (مزيد من المخ الأيسر)، بينما هو يميل إلى النظر للأمور بنظرة فلسفية وأفكار مهمة عن طرق التعلم (أي أن مخه الأيمن يعمل بصورة أكبر)، وفي بداية زواجنا كان هذا الاختلاف في أسلوب التفكير سببًا في حدوث مشكلة في الحوار بيننا، وكان دائمًا يبدو وكأنه يبحث عن بدائل جديدة وإمكانات جديدة، وكان من السهل عليه أن يغير مجرى الحديث، من ناحية أخرى كنت أميل للرقعة ولكن بطريقة منطقية، وبعد الكثير من الاختلاف اتفقنا أن يكون لأسرتنا اتجاه واضح، وأن نحدد تفاصيل فهم كل منا المهمة الأسرة، وأن نبقي على المسار مهما كانت الصعاب».

وقد تسبب هذا في حدوث بعض التجديدات عندما أصبحنا نضع القرارات معًا بالنسبة لكل شيء؛ بداية من تحديد الأهداف إلى شراء الأشياء وتربية الأطفال، وكانت تعليقات كل منا على الآخر - أثناء النقاش - صارمة وقاسية جدًا، ولكننا نحاول أن نبقي على المسار نفسه، واحتجنا لكثير من العمل وضبط النفس لاتخاذ القرارات معًا.. حاولنا مثلًا توزيع المسؤوليات؛ فبالنسبة للميزانية مثلًا: قام هو بوضع كثير من الخطط طويلة المدى، وأنا أحتفظ



بسجل لها، وكان هذا مفيداً لنا، ولكنني كنت أهتم بتفاصيل الموارد والمصاريف .. كنا نعمل جاهدين على نجاح الزواج والأسرة في نطاق قوتنا وقدرتنا.

وعندما اكتشفنا كيف نستخدم اختلافاتنا بتكاتف في إيجاد البديل الثالث وصلنا لمستوى جديد في علاقتنا، واكتشفنا أنه يمكننا الاستماع لبعضنا البعض باحترام وتقدير، وقد فتح هذا أعيننا نحو طريق جديد لرؤية الأمور، وبدلاً من الاقتراب للمشكلات من جوانب معاكسة أصبح باستطاعتنا الاقتراب وحل المشكلات بمزيد من التفاهم المشترك، فتح ذلك الباب لجميع أنواع الحلول المبتكرة لمشكلاتنا؛ بل وأعطانا شيئاً مدهشاً كي نقوم به معاً، عندما أدركنا مؤخراً أن اختلافاتنا هي أجزاء من مجموع أكبر، بدأنا نبحث إمكانات وضع تلك الأجزاء بطرق جديدة، فمثلاً اكتشفنا أننا نحب أن نكتب معاً، هو يفكر في الأفكار المهمة وطرق المخ الأيمن في التعلم، وأنا أتناقش معه حول هذه الأفكار، وترتيب المضمون بطريقة منطقية، وصياغة الكلمات بأسلوب أدبي دقيق، ونحن نحب ذلك، وقد جمع هذا بيننا ووضعنا في مستوى جديد من الإسهام والعمل معاً، ووجدنا أن ما نتجه معاً أفضل كثيراً بسبب الاختلاف بيننا.

لاحظ كيف كان تعامل الزوجان في المثالين مع الاختلافات بين المخ الأيمن والأيسر في التفكير؛ في المثال الأول أدت هذه الاختلافات للإحباط وسوء الفهم، أما في المثال الثاني فقد أدت لمستوى جديد من التكاتف والعلاقات المتفهمة، فكيف وصل الزوجان لهذه النتائج الإيجابية؟ لقد تعلمنا تمييز الاختلافات واستخدامها لخلق شيء جديد، ونتيجة ذلك أصبحتنا أفضل حالاً معاً مما لو كان كل واحد بمفرده.

وكما قلنا في العادة الخامسة، فإن كل شخص حالة فريدة ومستقلة، وهذا التفرد والاختلاف هو أساس التكاتف في الواقع، فمثلاً يعتمد أساس التكامل البيولوجي للأسرة على الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة، وهذا ما يتولد عنه إنجاب الأطفال، وهذه القوة الجسدية الخلاقة تعمل كوسيلة عظيمة لأنواع أخرى من الأشياء الطيبة التي يمكن أن تحدث نتيجة مثل هذه الاختلافات.

لا يكفي تحمّل الاختلافات في الأسرة، إنما أنت تستطيع تقبل الاختلافات والاستفادة منها، ولا تستطيع أن تقسم وظائف الأسرة حتى تستوعب الاختلافات؛ ولذلك فلا بد من



التكاتف، وحتى يكون لدى أسرتك هذا النوع من السحر الخلاق الذي نتحدث عنه، عليك وعلى زوجتك تحديد الاختلافات والإعلان عنها، ولا بد أن يكون باستطاعتك أن تقول بصراحة: «حقيقة رؤيتنا للأشياء بصورة مختلفة هي مصدر القوة في أسرتنا، وليست مصدر الضعف في علاقتنا».

## 2- الواقع المصري / العربي:

هل هذا السحر الذي يحدث عندما يكتشف الزوجان أن  $3 = 1 + 1$  أو أكثر موجود فعلاً في كثير من الأسر المصرية؟ إن العنصر الأساسي لخلق جو التكاتف هو تعلم تامين الاختلاف والإعلان عنه، فهل تامين الاختلاف بين الزوج وزوجته، أو بينهما وبين أولادهما في مرحلة المراهقة من الأعراف المتبعة في المجتمع المصري؟ هل هناك أم مصرية تقول: عندما تعلمت أن أتقبل ابنتي كما هي وأتقبل الاختلاف بيننا أصبحت قادرة على الوصول إلى العلاقة القوية التكاملية معها؟ وكم زوجة مصرية يمكنها الفخر بأنها زوجها يصنعان القرارات معاً لكل شيء: من أول تحديد الأهداف إلى شراء الأشياء وتربية الأولاد؟

لا بد أن نعترف في هذه المرحلة من الكتاب بالاختلاف الكبير بين مجتمعاتنا العربية والمجتمعات الغربية في العادتين الخامسة والسادسة .. نحن نتفوق عليهم كثيراً في العادة الرابعة -تحميل المسؤولية- أما فهم الآخرين والسعي لكي يفهموك لكي تتكاتف معهم وصولاً إلى البديل الثالث، ليس فقط عن طريق تحميل الاختلافات بين الزوجين أو بينهما وبين أبنائهما المراهقين، وإنما تقبل هذه الاختلافات والاستفادة منها، فما زال بعيداً عن كثير من الأسر في مجتمعاتنا.

بالنسبة للميزانية تكتفي الزوجة بالطلب، وعندما يقول الزوج: إن ما تطلبه يفوق قدراته المالية ولا بد من مناقشة هذه الطلبات ووضع الأولويات، تكتفي بأن تقول له: «تصرف»، ولا تشغل رأسها بالتفكير في الأمور المادية، وفي المقابل لو حاولت الزوجة مناقشة زوجها في كيفية الإنفاق وأوجه الإنفاق، فإن كثيراً من الأزواج ينهرها قائلاً: «وأنت مالك، ألسنت أنا الذي أتعب لكسب المال؟»، ونادراً ما يجلس الزوجان لمناقشة مشكلة تعترض زواجهما مناقشة قائمة على أسلوب جيد للتفكير باستخدام أدوات التفكير المعروفة، (مثل أدوات برنامج كروت)، وأساليبه المشهورة (مثل أسلوب القبعات الست لدي بونو)، ونادراً ما



تجري مناقشة بين الأب وابنه / أو ابنته المراهق على أساس احترام عقلية المراهق واختياراته، غالبًا ما تكون المناقشة عبارة عن أوامر من ناحية الأب واحتجاج وعناد من ناحية المراهق.

والحقيقة أنه لتطبيق العادة السادسة - وكثير من العادات الأخرى - فإننا نحتاج لتغيير الثقافة الأسرية في بلادنا تغييرًا كبيرًا .. لا بد أن يتهج الزوجان بالاختلاف في الرؤى والأفكار وأساليب التفكير بينهما، ولا بد أن يسعي إلى استئثار هذه الاختلافات في ابتكار حلول وبدائل ثالث لكل مشكلة - بديل أفضل من البديل الذي يقترحه أي منهما - ولا بد أن يسعى الأبوان إلى أن يصاحبا أبناءهما فوق سن الثالثة عشرة، صداقة حقيقية قائمة على الاحترام، ورغبة حقيقية في التكاتف والتآزر، من الطرفين وليس من طرف واحد فقط .. إن محاولة تجديد أسرتك ستتعرض لاختبار حقيقي عند محاولة تطبيق العادة السادسة بالذات؛ لأنها الثمرة العليا لكل العادات السابقة، ولأنها تعتمد على احترام حقيقي بين كل أطراف الأسرة، وتقدير وتثمين للاختلاف بين شخصياتها وأفرادها.

لا بد أن نواجه أنفسنا بعيوبنا كشرقيين، ولا بد أن نحاول التغلب على هذه العيوب، وأهمها عدم احترام الزوج لعقلية زوجته وقدراتها الذهنية، واستمراء الزوجات لعدم التفكير أو تحمل المسؤولية عن ميزانية الأسرة وكيفية إدارتها، وعناد المراهقين ورفضهم التفاهم مع الأبوين، حتى لو أراد الآباء فهم أبناءهم المراهقين والتفاهم معهم تمهيدًا للتكاتف معهم؛ ولذا لا بد من الاهتمام بلقاء الأسرة الأسبوعي اهتمامًا كبيرًا، والتحضير له تحضيرًا جيدًا لتغيير العادات الشرقية السيئة المنتشرة في بلادنا، وتعويد كل أفراد الأسرة على المبادرة والاستماع بتعاطف لبعضهم البعض، وفهم الآخر، والسعي لكي يفهمه؛ تمهيدًا للتكاتف والتآزر معه، ولا بد أن يتضمن بيان مهمة الأسرة بوضوح استعداد كل أفراد الأسرة للاستماع بتعاطف، ومحاولة فهم الآخر فهمًا كاملاً، والرغبة في التكاتف والتآزر بين كل أفراد الأسرة.

### 3- من الإعجاب إلى التوتر:

الأشياء التي تجذب الرجال والنساء لبعضهم البعض في بداية علاقتهم هي غالبًا الاختلافات بينهم، والطرق المختلفة التي تسعد وتسر وتثير كل منهم، فالرجل الهادئ الوقور ينجذب إلى المرأة الممتلئة حيوية ونشاطًا، والمرأة العاطفية الحساسة تنجذب إلى



الرجل العقلاني، ومع ذلك بمجرد الزواج يتحول الإعجاب إلى استياء إلى حد ما، وبعض هذه الاختلافات تكون هي الأشياء نفسها التي تسبب أكبر المشكلات وحالات الطلاق، فيحدث شجار مثلاً على موضوع موعد نوم الأولاد، أو من يوصلهم للمدرسة، أو أشياء أسط من ذلك.

يحكي كوفي أنه عاد من إحدى سفرياته بعد أن كان بعيداً عن أولاده وتواصله معهم لمدة ثلاثة أيام .. عاد وهو يشعر بالذنب تجاههم، ويريد أن يعوضهم عن هذا الغياب باللعب معهم، ونتيجة بعده كان على زوجته أن تعوض غيابه بأن تكون أكثر قوة وحزمًا مع الأولاد، وعندما عاد إلى بيته من هذه السفرية صعد سلم البيت الداخلي منادياً: «أيها الأولاد، كيف حالكم، اشتقت لكم كثيراً» .. هبط أحد الأولاد السلم ونظر إليه، ثم أسرع عائداً وهو يصيح: «إنه لطيف»، أي أنه في حالة مزاجية طيبة، وما لم يكن يعرفه كوفي أن أولاده كانوا في الفراش بعد أن أنكوا أمهم، واستخدموا جميع الأعذار ليتركوا الفراش ويستمروا في اللعب، واستمر هذا حتى نفذ صبر زوجته، فأرسلتهم للفراش بأمر نهائي: «والآن، ابقوا في الفراش وإلا».

ولذلك عندما رأوا ضوء سيارة الأب من النافذة تولد لديهم شعاع من الأمل، وقالوا: لنرى الحالة المزاجية لأبي؛ ولذلك عندما صعدت السلم كانوا جميعاً بانتظاري متحمسين، فبدأنا نلعب المصارعة وجميع أنواع اللعب الممتعة، ثم جاءت زوجتي بمزيج من الإحباط والغضب في صوتها: «أما زلتم متيقظين؟»، فقلت بسرعة: «لم أرهم منذ ثلاثة أيام، وأريد أن ألعب معهم بعض الوقت»، فغادرتنا وهي غاضبة، وبعد أن ناموا بدأنا نقاش المشكلة، وقالت: إن المشكلة تتمثل في عدم تعاوننا في هذا الصدد، ووافقتها في ذلك، وقلت: إنني كنت أتصرف بناءً على حالتي المزاجية وشعوري، ولم أبدأ الاحترام لحقيقة أن موعد نومهم كان قد مضى عليه وقت طويل، وأنهم كانوا في فراشهم بالفعل، وكان لا بد أن يبقوا فيه، ولكنني أيضاً لم أرهم لعدة أيام وكان لا بد أن أبادلهم المشاعر الدافئة.

وبرز السؤال: ما مدى أهمية قاعدة الالتزام بوقت النوم التزاماً صارماً؟ .. لم نصل إلى حل لهذه المشكلة فوراً، ولكننا استنتجنا أن قاعدة الالتزام بوقت النوم ليست أهم لأسرتنا من تواصل الأب مع أبنائه بعد غياب ثلاثة أيام، خاصة وأن بعض الأطفال كانوا قد بدءوا



سن المراهقة، وأخبرت زوجتي أن أولادنا كان باستطاعتهم دائماً الجلوس والحديث والأكل والضحك معها؛ لأنني أنا الذي كنت أنام مبكراً، ولذا فعندما أعود من سفر طويل أحتاج لوقت معهم، ووافقت هي على ذلك، والأمر الذي ساعدنا على الوصول لحل هذه المشكلة هو اعترافنا بالاختلافات بيننا، والسماح للجميع بعمل ما نشعر تجاهه برغبة عارمة، سواء كان فردياً أو جماعياً، حتى وإن كان يتعارض مع قاعدة من قواعد الأسرة التي وضعناها مسبقاً.

ولكن أحياناً تصعب الحياة مع الاختلافات، وتقدير تفرد كل شخص عن الآخر؛ لأننا عادة ما نميل لوضع الناس في قالب من خيالنا الخاص، وعندما نستشعر الأمان من منظورنا للأمر وآرائنا، فإن ما يهدد هذا الشعور هو استماعنا لرأي مخالف، خاصة لو نبع هذا الرأي من شخص قريب منا كالزوج أو الزوجة أو الأطفال الكبار، فنحن نميل إلى أننا نريد منهم الاتفاق معنا، وأن يفكروا بطريقةنا نفسها، ويسايروا أفكارنا، ولكننا يجب أن ندرك أن الاختلاف ثراء؛ لأنه كما قال شخص ما ذات مرة: «عندما يفكر الجميع بطريقة متماثلة لن يفكر أحد منهم كثيراً»، بينما قال آخر: «عندما يتفق اثنان على كل أمر من الأمور، فأحدهما يصبح غير ضروري».

وبدون الاختلاف لن يكون هناك أساس للتكاتف، ولا سبب للسعي لإيجاد حلول وخلق فرص جديدة، والعجيب أن كثيراً من الناس لا يعلمون أن الله خلقنا لكي نظل مختلفين، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ .. إن ما يهم - حقيقة - هو تعلّم المزج بين هذه الاختلافات بطريقة توجد شيئاً جديداً بالكامل، وأنت لا يمكنك أن تحصل على سَلْطَة فاكهة جميلة بدون التنوع، وهذا التنوع هو الذي يخلق النكهة ويجعلها شهية؛ ولذا فالجمع الجديد بين أفضل الأشياء المختلفة ينتج ابتكارات رائعة.

يقول كوفي: بمرور السنين وصلت أنا وزوجتي إلى أن من أفضل الأشياء في زواجنا هو هذا الاختلاف فيما بيننا، ونحن نحب ذلك الاختلاف، وفي معظم الأوقات يعتمد كل منا على أفكار الآخر للوصول إلى قرارات أفضل، ويعتمد كل منا على قوة الآخر لمساعدته في تعويض ضعفه الشخصي، ويعتمد كل منا على تفرد الآخر حتى نعطي النكهة واللذة



لعلاقتنا، ونحن متأكدون أننا أفضل حالاً معاً مما لو كنا منفردين، ونعرف أن أحد الأسباب الرئيسية لذلك هو اختلافنا عن بعضنا البعض.

تقول سينثيا (ابنة كوفي): «إذا أردت النصيحة بخصوص شيء ما، كنت أذهب إلى أبي؛ لأنه بارع في النصح، ويقول: لو كنت مكانك لفعلت كذا وكذا، ثم يشرح لي لماذا، ولكننا أحياناً لا نريد النصيحة بل الدعم غير المشروط، نريد من الغير أن يقول لنا: أنت الأفضل... أنت الأعظم، إنك أحياناً تريد أن يدعمك الآخرون بإخلاص مهما كان أداؤك، وقد كانت أُمِّي في منتهى الإخلاص لأبنائها.. كانت تعتقد أننا الأفضل وليس فقط أفضل من غيرنا، كانت آراؤها فينا فيها مبالغة وكنا نشعر بذلك، ونعرف أنها عادة ما تبالغ فيما قمنا به من أفعال، ولكن الإنسان يسعد عندما يعلم أن هناك شخصاً ما يقدرك كثيراً، وهذا ما زرعته أُمِّي فينا، حيث كانت تقول: «يمكنكم فعل أي شيء، سوف تكبرون وتحققون أهدافكم إذا ما سعيتم إلى ذلك، أنا مؤمنة بكم، وأن بوسعكم أن تحققوا ما تهدفون إليه»، إلى حد ما تعلمنا منها أفضل ما بهما من خصال، واستفدنا من اختلافهما عن بعضهما».

#### 4- التطبيق العملي:

التكاتف لا يعني فريق عمل أو التعاون مع الآخرين فحسب، التكاتف الذي نقصده في الأسرة هو التعاون الخلاق والمشاركة الخلاقة، هو التعاون الذي يؤدي إلى إيجاد شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل، وما كان ليوجد إلا بإقرار الخلافات واستثمارها للوصول إلى البديل الثالث أو الرأي الثالث، الذي لن يتولد إلا من خلال الإصغاء باهتمام، والتعبير عن النفس بشجاعة وتوليد أفكار جديدة، الآن يجب أن يصبح بمقدورك تطبيق العادتين الخامسة والسادسة؛ كي تضع حلولاً ثالثة بديلة تصلح لعلاج المشكلات الأسرية في أي موقف.

اختبار: يقترح كوفي موقفاً حقيقياً، وسيطلب من القارئ أن يستثمر ملكاته الإنسانية الأربع كي يحاول علاج الموقف، وسوف يقاطع الموقف المعروض أكثر من مرة لكي يطرح أسئلة تُمكن القارئ من ضغط زر الإيقاف بداخله، واستخدام هذه الهبات للتفكير في طريقة للرد أو التصرف أو حل الموقف، وينصح بأن تأخذ وقتك في الإجابة قبل أن تستكمل القراءة.



الموقف: تحكي زوجة أن زوجها لم يكن يحصل على مال وفير، لكنها تمكنا من شراء منزل صغير وكانا سعداء للغاية به، ولا ارتفاع قيمة الأقساط تمكنا بالكاد أن يبقيا مستورين، وبعد أن أمضيا شهرًا في المنزل شعرا بأن الحجرة الأمامية يشوه جمالها أريكة حصل عليها الزوج من والدته وقد تهالكت، ورغم قلة مواردهما قررا شراء أريكة جديدة، وذهبا إلى محل أثاث كبير، وتفحصا الأرائك ووقعت أعينهما على أريكة تعود إلى العصر الأمريكي الأول، كانت هي ما تمنياه، لكنها دهشا لارتفاع سعرها عدة أضعاف عما كانا قد ادخرناه .. سألنا البائع عن منزلنا وحجم الحجرة، وأخبرناه بزهو أنها حجرة كبيرة وجميلة وأن منظر هذه الأريكة سيكون فخماً فيها، وتحدثنا عن منزلنا بزهو كبير، ولكننا أخبرناه أننا لا نستطيع سداد قيمة الأريكة الآن، فأخبرنا أنه سوف يرسل الأريكة إلى المنزل يوم الأربعاء التالي، وعندما سألناه كيف يمكنه إرسال الأريكة دون أن ندفع ثمنها، قال: إنه يمكن أن يرتب لنا تأجيل الدفع لمدة شهرين، فقال له زوجي: «حسناً، سوف نأخذها» (وقفه: استخدم هبة الوعي بالذات وهبة الضمير وفكر ماذا ستفعل لو كنت أنت الزوجة؟).

الزوجة أخبرت البائع أنها بحاجة إلى بعض الوقت لكي يفكر في الأمر (لاحظ كيف أن هذه السيدة استخدمت العادة الأولى وهي كن مبادراً كي تحقق وقفه بداخلها). قال زوجها: «فيم سنفكر؟ نحن بحاجة للأريكة الآن، وسوف ندفع ثمنها لاحقاً»، لكنها أخبرت البائع بأنها سوف يبحثان في أماكن أخرى وسيعودان إليه، وشعرت بأن زوجها تضايق مما فعلت، وخرجا من المحل وأمسكت بيد زوجها وسارا نحو مقعد في منتزه صغير، وجلسا وكان لا يزال يشعر باستياء، ولم يكن قد نطق بكلمة منذ تركا المحل.

(وقفه: استخدم الوعي بالذات والضمير مرة أخرى، كيف ستعالج الموقف لو كنت أنت الزوجة؟ تقول الزوجة: قررت أن أترك له الفرصة كي يجبرني بسبب ضيقه، وأستمع له وأفهم شعوره (لاحظ طريقة تفكير السيدة وكيف استخدمت العادة الخامسة؛ لكي تحاول أن تفهم زوجها). أخيراً تحدث زوجي، وأخبرني كم كان يشعر بالإحراج عندما كان يزورنا صديق ويرى تلك الأريكة القديمة، أخبرني أنه يعمل بجهد واجتهاد، ومع ذلك لا يحصل على مال كافٍ، وكان يشعر أنه ليس من العدل أن يحصل أخوه وآخرون من زملائه على دخل أكبر منه وهو يعمل أكثر منهم، وأخبرني أنه يشعر أحياناً بأنه إنسان فاشل، ولذلك فالأريكة



الجديدة - عندما يراها أصدقائه في بيتنا - ستكون دليلاً على أنه مازال بخير، وأنه يكسب ما يكفي .. شعرت بكلماته تنفذ إلى قلبي، بل وبلغ الأمر بي أنه أوشك على إقناعي بالعودة إلى المحل لشراء الأريكة، ولكنني طلبت منه أن يستمع إلي لكي أوضح شعوري ووجهة نظري، (لاحظ كيف استخدمت هنا النصف الثاني من العادة الخامسة)، فوافق أن يستمع.

فأخبرته كم أنا فخورة به، وأنه بالنسبة لي أعظم زوج في العالم، وأخبرته كيف أن النوم كان يجافي عيني ليالي كثيرة لأنني كنت أشعر بالقلق من عدم قدرتنا على الوفاء بالتزاماتنا المالية، وأخبرته أننا إذا اشترينا هذه الأريكة الغالية سنضطر بعد شهرين لتسديد ثمنها، وهو ما لن نكون قادرين عليه، أخبرني بدوره أنه يعرف أن ما أقوله حقيقي، لكنه لا يزال يشعر بمرارة في حلقه؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش في مستوى نظرائه. (وقفة: استخدم خيالك الإبداعي: هل تستطيع التفكير في بديل ثالث؟).

وصل بنا الحديث إلى أننا محتاجون لأفكار جديدة عن كيفية تحسين منظر الحجرة الأمامية دون إنفاق الكثير من المال، (لاحظ بداية التكتاف - العادة السادسة)، أخبرته أن متجرًا آخر لديه أرائك بهال أقل، ونستطيع تحمله، ضحك وقال: «قد تكون لدى هذا المتجر الآخر أريكة تعود إلى العصر الأمريكي الأول، كالأريكة التي شاهدناها الليلة». أمسكت بيديه وجلسنا للحظة طويلة يحدق كل منا في عين الآخر، في النهاية قررنا أن نذهب إلى المتجر الآخر، ووجدنا لديه أريكة معظمها من الخشب، وكانت وسائدها متهالكة وممزقة ولكنها كانت من العصر الأمريكي الأول، ولم أر مشكلة كبيرة في إصلاح الأريكة بتغطيتها بقماش يتماشى مع لون الغرفة، اشترينا الأريكة بثلاثة عشر دولارًا، وتوجهنا بها للمنزل، (لاحظ استخدام الضمير والإرادة المستقلة).

في الأسبوع التالي اشتركت في دورة تدريبية عن كيفية معالجة الأثاث المتهالك، وقام زوجي بإعادة طلاء الأجزاء الخشبية طبقاً لما تعلمته في الدورة، وبعد ثلاثة أسابيع أصبح لدينا أجمل أريكة تعود إلى العصر الأمريكي الأول، وفي الأعوام التالية كنا كثيراً ما نجلس على الأريكة وتتشابك أيدينا مع ابتسامة ترسم على شفاهنا .. كانت تلك الأريكة رمزاً لاستعادتنا القدرة المالية التي تمكننا من شراء ما نريده (لاحظ - أخيراً - النتائج وهي أهم شيء في العادة السادسة).



ما هو الحل الذي توصلت أنت إليه أثناء قراءتك هذا الاختبار؟ بالتأكيد أثناء الوقفات استخدمت ملكاتك الإنسانية الأربع، وقد تكون توصلت إلى حلول أفضل من تلك التي توصل إليها الزوجان، مهما كان الحل الذي توصلت إليه فكر في الفرق الذي سيحدثه التكاتف في حياتك، فكر في تأثير روح التكاتف تلك التي سادت بين الزوجين في حياتهما، هل فكرت بعمق في أسلوب استخدام الزوجة لملكاتها الإنسانية الأربع؟ هل لاحظت كيف استطاعت أن تضغط زر الإيقاف بداخلها عند اللزوم؛ كي تبادر إلى التصرف حيال المشكلة بدلاً من الاكتفاء بالشكوى، أو أن تقول لزوجها «تصرف»؟ هل رأيت كيف استخدمت العادتين الخامسة والسادسة بمهارة كي تتوصل مع زوجها بأسلوب من التكاتف إلى حل ثالث بديل لشراء أريكة غالية (بديل أول) أو عدم شراء أي شيء (بديل ثانٍ)؟ هل أدركت القيمة التي أضافها إلى حياتها عندما استثمرت مواهبها في إصلاح الأريكة المتهالكة، واشتركا في صنع شيء جميل معًا، شيء استمر في الفخر به لسنوات طويلة؟ هل تستطيع أن تحس بالفرق الذي سيشعران به عندما ينظران إلى الأريكة التي رمها معًا كانا سيشعران عند النظر إلى شيء قاما بشرائه بالتقسيم وما زالت الأقساط الشهرية تثقل كاهلها؟

### 5- الجهاز المناعي للأسرة:

هذه الروح التي تتسم بالتكاتف هي أسمى تعبير عن الثقافة الأسرية الجميلة، فهي روح خلاقة مسلية مليئة بالفكاهة والمرح، حافلة بالاحترام المتبادل بين كل أفراد الأسرة، واحترام رغباتهم واهتماماتهم المختلفة، والتكاتف يطلق العنان لقدراتك الكامنة الهائلة، ويولد أفكارًا جديدة، ويجمعك مع آخرين بأساليب متعددة الأبعاد، ويؤدي إلى زيادة في رصيد حساب بنك العواطف؛ لأن تكوين شيء جديد مع شخص ما يؤدي إلى توطيد الصلة بينكما، ويساعد أيضًا على تكوين ثقافة تستطيع أن تتعامل فيها بنجاح مع تحديات الأسرة.

وفي الحقيقة فإنه يمكنك مقارنة الثقافة التي تكونها العادات الرابعة والخامسة والسادسة بجهاز المناعة لدى الإنسان، فهذه الثقافة هي التي ستحدد قدرة الأسرة على التعامل مع أية تحديات تواجهها مستقبلاً، وهي التي تحمي الأسرة وأفرادها عندما تقع منهم الأخطاء، أو عندما تضل طائفة الأسرة المسار بسبب بعض العواصف المالية أو الاجتماعية أو الصحية، وهي التي تحدد هل سيكون لدى الأسرة القدرة على مواجهة التحدي والتغلب عليه، وعلى



التكيف مع الظروف الجديدة المحيطة بها، وأن تتعلم منها، تجارياً وتعدلها، وتعزز قدرتها بناءً على ذلك، مع هذا النوع مع المناعة يمكن النظر إلى المشكلات الأسرية بصورة مختلفة؛ فالمشكلة تصبح شيئاً مشابهاً لمصل التطعيم؛ فهو يحفز جهاز المناعة في الجسم لكي يفرز أجساماً مضادة حتى لا يصاب بالمرض، وبذلك تستطيع الاستفادة من أي مشكلة تعترض حياتك الأسرية، مثل: مشكلة مع زوجتك، أو مشكلة في تربيتك لأحد أبنائك المراهقين، أو مشكلة في عملك، أو في علاقتك بأخيك أو أختك باعتبارها مصلاً مضاداً للمتعاب، قد يسبب لك الأمر بعض الألم في البداية، أو حتى يترك آثاراً وندوباً نفسية عليك، لكنه سيحفز جهازك المناعي كي يعطي استجابة مناعية، أي يطور قدرتك كأسرة على القتال والتغلب على المشكلة.

إذن -مهما كانت الصعاب- فإن جهازك المناعي كأسرة سوف يشحذ أسلحته، ويحيط بتلك الصعاب أو تلك المشكلة أو العقبة أو الإحباط أو الشعور الغائر بالألم الذي يهدد الأسرة، ويجوؤها إلى تجربة إنسانية مفيدة تساعد الأسرة على النمو والتكاتف والابتكار، والبحث عن حلول إبداعية للمشكلات التي تواجهها، أو التحديات التي تعترض سبيلها، فلا تدع المشكلات تحبطك أو تثبط عزمك، وإنما دعها تدفعك إلى الوصول إلى مستويات أفضل من الفاعلية والمناعة.

إن اعتبار المشكلات نوعاً من المصل أو اللقاح يلقي ظلالاً جديدة على الطريقة التي تتعامل بها معها أيضاً، ويكمن مفتاح القوة في ثقافة الأسرة حقيقة في كيفية تعاملك مع أصعب أبنائك مراساً، فعندما تغدق على ابنك هذا حباً غير مشروط سيعلم الآخرون أن حبك لهم غير مشروط أيضاً، وهذه المعرفة ستخلق لديهم الطمأنينة، وعندما تتعامل بمسئولية مع هذا الولد سيشعر الآخرون بالقوة التي لديك لضبط السلوك ودعم القيم الأسرية، إذن كافح في أن تحتفظ بحبك وعرفانك لأبنائك الذين لديهم مشكلات؛ لأنه كلما زاد التحدي كلما زادت القوة بداخلك وبداخل الأسرة وثقتها، وعندما نفهم الجهاز المناعي للأسرة بهذا الفهم سننظر إلى المشكلات الصغيرة باعتبارها لقاحات يعاد حقنها في جسد الأسرة، تلك اللقاحات تساعد الجهاز المناعي على العمل.

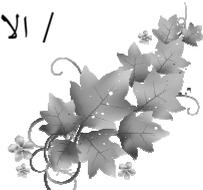


ومن خلال تفاعل تلك اللقاحات مع الجسم تزداد قوة جهازك المناعي، ويمنع هذه المشكلات الصغيرة من التفاقم، ومرضى الإيدز لا يموتون من الإيدز، لكنهم يموتون من الأمراض الأخرى التي تصيب أبدانهم؛ لأن مرض الإيدز هو مرض نقص المناعة المكتسبة، فيعانون من انخفاض كفاءة جهازهم المناعي، وكذلك الأسرة، فإن الأسرة لا تموت بسبب مشكلة أو عقبة واحدة، الأسرة تموت لأن جهازها المناعي ضعيف، تموت لأن السحب قد زاد من حساب بنك العواطف ولا توجد إيداعات، ولأن طريقة التعامل مع أنماط الحياة العائلية اليومية لا يتم على أساس المبادئ أو الأعراف التي تقوم عليها الأسرة، الجهاز المناعي السليم يعزز قدرة الأسرة على مقاومة أربعة أنواع من «السرطان» التي تमित الحياة الأسرية: النقد - الشكوى - المقارنة - المنافسة، هذه السرطانات الأربعة تتناقص تمامًا مع الثقافة الأسرية الجميلة وبدون جهاز مناعي أسري قوي وسليم يمكن لهذه السرطانات أن تشتد وتمتد وتشر طاقتها المبددة في جسد الأسرة كله.

### 6- أنت ترى الأمر بشكل مختلف ، حسنًا ، ساعدني كي أفهم:

لفهم ثقافة العادتين الخامسة والسادسة نرجع لمثال الطائفة، لقد قلنا في الفصل الأول إن الأسرة ستكون خارج المسار 90٪ من الوقت، ولكن بوسعها دائمًا قراءة التغذية الراجعة والعودة مرة أخرى إلى الطريق القويم، فإدارة الأسرة هي عبارة عن تعلم دروس الحياة، والتغذية الراجعة هي جزء طبيعي من هذا التعلم، فالمشكلات والتحديات تعطي الأسرة تغذية راجعة، وبمجرد أن تدرك أن كل مشكلة بحاجة إلى استجابة بدلاً من رد فعل فقط فإنك ستبدأ في التعلم، وكذلك باقي أفراد الأسرة، وتصبحون عندئذ أسرة متعلمة، ترحب بالتحديات التي تختبر قدراتكم على التكاتف والاستجابة، وبأي مستوى من مستويات الكفاءة والأخلاق تكون هذه الاستجابة.

وسيكون بين أفراد الأسرة اختلافات في هذه الاستجابة، وعندما يقول بعضكم لبعض: «أنت ترى الأمر بشكل مختلف، حسنًا، ساعدني كي أفهم»، وعندما تعتمدون على الفعل الجماعي والخلفية الخلقية والضمير لكل فرد في الأسرة، عندها ستكونون أسرة ذات ثقافة أسرية رائعة، لكن لكي تصلوا إلى ذلك لا بد أن تتخطوا خلافاتكم إلى ما هو أبعد من: اللوم / الاتهام / المنافسة، ولا بد أن تتخطوها إلى ما هو أبعد من: الانتقاد / التذمر / المقارنة،



ولا بد أن تفكروا في التكاليف والسعي إلى المكسب المشترك، عن طريق أن يسعى كل منكم إلى أن يفهم الآخر ويصبح مفهومًا ثم متكاتفًا معه، فإذا لم تكونوا كذلك فعلى الأقل ستكون راضيًا في نهاية المطاف عن تعاونكم، إن لم تكن متكاتفًا أو مبدعًا فستكون متعاونًا، وفي أسوأ الأحوال لن تكون في حالة حرب أو تفر من مشكلاتك، والأمر لا يحتاج إلى أكثر من حالة عقلية راغبة في الفهم والتعاون، الأمر يحتاج إلى محاولة السعي أولاً للفهم عندما تعتقد أنك تعرف حقيقة ما الذي يفكر فيه شخص ما (أنت عادة لا تعرف ذلك)، وعندما تكون متأكدًا من أن لديك الإجابة الكاملة للمشكلة (أنت دائمًا لا تكون كذلك)، وعندما يكون لديك موعد ما وتحتاج إلى أن تخرج في غضون خمس دقائق، في كل هذه الحالات تحتاج أن تجلس وتفهم.

والأمر كذلك بحاجة لصفة الابتهاج بالاختلاف وتثمينه، والبحث عن البديل الثالث الذي هو أفضل من الذي لدى أي منكما، والأمر يحتاج إلى العمل مع أفراد أسرتك لخلق هذا الإحساس بالتكاتف في ثقافة الأسرة، فهذا هو السبب في أن المبادرة والتصرف طبقًا للمبادئ والقيم شيء أساسي؛ حيث يحاول كل فرد أن يطور قدرته على التصرف طبقًا للمبادئ بدلًا من التصرف نتيجة العواطف أو الظروف، والأمر يحتاج أن تعترف بأن للأسرة أولوية، وتنظم شئونك بناءً على ذلك، في هذه الحالة سيكون بمقدورك دفع ثمن ما يتطلبه الأمر لخلق هذا التكاتف القوي داخل أسرتك.

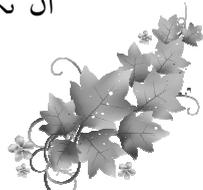
يحكي أب هذه التجربة: خلال تفكيري بالعبادات الرابعة والخامسة والسادسة، وأنني يجب أن أعمل على تطويرها داخل أسرتنا، أحسست أنني بحاجة للعمل بشأن ابنتي التي تبلغ من العمر سبع سنوات، كانت ابنتي غالبًا تتصرف بشكل عاطفي جدًا، فعندما لا تسير الأمور على هواها فإنها تجري نحو حجرتها وتبكي بشدة، ومهما فعلت أنا وزوجتي لا نستطيع أن نمنعها من الوصول إلى هذا الإحباط الذي يؤدي إلى إحباطنا بالتالي، ووجدنا أننا نتصرف إزاءها بشكل رد فعل ثابت، فكلما تصرفنا بطريقة عاطفية مبالغ فيها كنا نقول لها: «اهدئي، توقفي عن البكاء، اذهبي إلى حجرتك حتى تتمكني من السيطرة على نفسك»، وردة الفعل هذه أدت إلى ازدياد تصرفاتها سوءًا.



ولكنني عندما كنت أقرأ في هذه العادات الثلاث (الرابعة والخامسة والسادسة) خطر لي شيء في قلبي، فقد أدركت أن طبيعتها العاطفية ما هي إلا هبة خاصة جداً، وقد تصبح مصدرًا عظيمًا يمدّها بالقوة في حياتها، فكثيرًا ما كنت أراها وهي تبدي عطفًا غير عادي على أصدقائها الصغار، فهي كانت دائمًا الشخص الذي يتأكد من أن حاجات كل فرد قد تم تلبيتها، وأنه لم يتم نسيان أحد .. إن لديها قلبًا كبيرًا وقدرة رائعة على التعبير عن الحب، وعندما لا تكون في إحدى حالات اضطرابها العاطفي فإن رقتها كانت كإشراق الشمس داخل منزلنا، لقد أدركت أن هبتها هذه مقدره قد تبارك حياتها بأسرها، ولو كنت استمررت على هذا التوجيه السلبي المنتقد لها فقد كان من المحتمل أن أطمس ما قد يصبح أعظم قواها.

وأدركت أن مشكلتها كانت في أنها لا تعرف كيف تتعامل مع كل عواطفها، وكل ما كانت تحتاج إليه هو شخص يتعاطف معها ويؤمن بها، ويساعدها على التحكم في عواطفها، لذا في المرة التالية التي وصلت فيها لهذه الحالة لم أنتهرها، وعندما هدأت جلوسنا معًا، وتحدثنا عما تحتاجه فعلاً لحل هذه المشكلة، وإيجاد بديل يشعر كل فرد نحوه بشعور حسن، وأدركت أنها لكي ترغب في الاستمرار في عملية التكاتف هذه فإنها بحاجة إلى انتصارات قليلة في البداية؛ ومن ثم فقد ساعدتها بوعي على إمدادها بالخبرات والتجارب التي نجح فيها التعاون من قبل؛ مما مكّنها من تطوير شجاعتها، وأصبحت تعرف أنها إذا ضغطت على زر الإيقاف لديها ولجأت إلينا فستجدنا، وقد كان، وتخطت موقفًا أو اثنين فأصبحت أكثر ثقة، ونحن لا زال لدينا مشكلاتنا معها، ولكننا وجدنا أنها أصبحت أكثر تعاونًا، ولديها رغبة أكبر في التحكم في عواطفها، واكتشفت أنه عندما يكون لديها صراعاتها الخاصة فإن الأشياء يتم إنجازها بشكل أفضل مما لو كنت قد نهرتها من الهرب إلى حجرتها، فلم أعد أقل لها لا تهربي ولكن أقول: «تعال، دعينا نبحث هذا الأمر ونحلّه معًا».

لاحظ كيف أن رؤية وبصيرة هذا الأب لطبيعة ابنته ساعدته على تمييز تميزها الفريد، وساعدته أن يكون فعالاً معها، ولاحظ أيضًا كيف أنه يمكن للأطفال الصغار (من سن السابعة) أن يتعلموا ويمارسوا العادات: الخامسة والسادسة، ويجب أيضًا أن تعيش العادة الأولى كأب؛ فهذا عمل قيادي، ويخلق الوحدة التي تجعل الاختلاف يثري الأسرة، كما يجب أن تكون وجهتك واضحة في ذهنك؛ لأن الوجهة تحسّن التصرف مع التغذية الراجعة،



ويقول البعض إن التغذية الراجعة هي إفطار الأبطال، والحقيقة أن الرؤية هي الإفطار، أما التغذية الراجعة فهي الغداء، وتصحيح الذات هو العشاء، فعندما تكون وجهتك واضحة في عقلك عندها ستدرك ما تعنيه التغذية الراجعة؛ لأنها تجعلك تعرف ما إذا كنت متجهًا نحو وجهتك أو أنك خارج المسار، وحتى عندما يتوجب عليك الذهاب إلى أماكن أخرى بسبب الطقس، فإنه بإمكانك العودة دائمًا بعد فترة، وبذلك سوف تصل إلى وجهتك في نهاية الأمر، كما أنت بحاجة أيضًا لتعيش العادة الثالثة، فأوقات الود بينك وبين فرد من أفراد أسرتك تمنحك حسابًا في بنك العواطف الخاصة به / بها، بهذا تستطيع أن تتفاعل بمصداقية وبأساليب تعاونية مع أفراد أسرتك؛ ولذلك فالأسرة التي تلتقي في أوقات أسبوعية ثابتة تتيح لأفرادها مجالًا للتفاعل التعاوني أكثر من غيرها.

بإمكانك الآن رؤية كيف تتمزج هذه العادات وكيف تتفاعل معًا، وكيف يعزز كل منها الآخر، بما يؤدي إلى نشوء هذه الثقافة الأسرية الجميلة التي تحدثنا عنها. إن إشراك الناس في المشكلة والعمل على حلها معًا هو أسلوب آخر للتعبير عن العادتين الخامسة والسادسة، ففكرة مبسطة مثل إشراك الناس في المشكلة وفي حلها هي أداة فعالة لتفعيل هاتين العادتين.

ويحكي كوفي عن تجربة مثيرة لمشكلة حاول حلها هو وزوجته مع أبنائهما بهذه الطريقة، فقد قرأ هو وزوجته كثيرًا عن تأثير التلفاز على عقول الأطفال، وبدأ يشعران أنه مثل بالوعة مفتوحة داخل منزلها تستغرق أوقات فراغ الأولاد كلها، وجزءًا من أوقات عمل الواجب المدرسي كذلك، ولهذا قاما بوضع قواعد للحد من وقت مشاهدة التلفاز، ولكن كان هناك دائمًا استثناءات، واستمرت هذه القواعد في التغيير، وكانت مشار جدل دائم، وأجريا مفاوضات مضنية مع أطفالهما، وأصبح الأمر بمثابة صراع قوي؛ مما أسفر في بعض الأحيان عن ظهور مشاعر الغضب بأساليب سلبية.

وعلى الرغم من اتفاقه مع زوجته إزاء المشكلة فإنها لم يتفقا على أسلوب الحل، فقد أراد هو اتخاذ توجه سلطوي انطلاقًا من العادة الرابعة، وقال: إن هناك مقالًا قرأته عن رجل قام بالفعل بإلقاء جهاز التلفاز في سلة القمامة. فهذا النمط من السلوك العنيف كان -في رأيه- الرسالة المناسبة التي ينبغي توجيهها للأولاد؛ لتحذيرهم من التأثير الرهيب لهذا الجهاز. لكن زوجته فضلت توجيهًا آخر يقوم بشكل أكبر على تفعيل المبادئ، فهي لم ترد أن يستاء الأطفال



من القرار؛ مما يجعلهم يشعرون بأنه يمثل خسارة بالنسبة لهم، وليس فوزاً، فيقاومونه بكل السبل.

وخلال مناقشاتهما معاً أدركا أنهما كانا يحاولان تقرير كيف يحلان هذه المشكلة بالنسبة للأطفال، دون أن يسعيا إلى الحصول على مساعدتهم في حل المشكلة، فقد قررا تطبيق العادات الرابعة والخامسة والسادسة على الأسرة بأكملها، وفي اجتماع الأسرة التالي طرحا موضوع: ما هو القدر الكافي من مشاهدة التلفاز؟، وظهر التركيز على كل فرد على الفور؛ نظراً لأهمية هذا الموضوع لكل المشاركين في النقاش، وبدأ الهجوم، فقال أحد الأبناء: «ما هو الضرر من مشاهدة التلفاز؟!، هناك الكثير من الأشياء الطيبة فيه، وأنا لا أتأخر في أداء واجباتي المدرسية رغم أنني أشاهده كثيراً، وفي الحقيقة يمكنني المذاكرة والتلفاز مفتوح، ودرجاتي جيدة، وكذلك الحال مع إخوتي، فما هي المشكلة إذن؟!»، وأضافت إحدى البنات: «إذا كنتما تحشيان أن يلحق بنا ضرر من مشاهدة التلفاز فأنتما مخطئان، فإننا لا نشاهد البرامج والأفلام السيئة، وإذا وجدنا شيئاً منها فإننا نختار محطة تلفزيونية أخرى، إضافة إلى أنه ليس بالضرورة أن كل ما يصدمكم يكون بمثابة صدمة لنا»، وقال ابن آخر: «هناك مسلسلات معينة إذا لم نتابعها لأصبحنا سخرية لزملائنا، فكل زملائنا يتابعونها.. إننا نتكلم عنها كل يوم في المدرسة، فهذه المسلسلات تساعدنا على رؤية الأشياء على حقيقتها؛ مما يجعلنا لا نقرب من الأشياء الضارة التي تعرض فيها».

ويكمل كوفي: والحقيقة أننا لم نقاطع الأطفال؛ فقد كانت لديهم مشاعر قوية عن ما يقولونه، وأبدوا اعتراضاً شديداً على إجراء أي تغييرات جذرية في عاداتنا الخاصة بمشاهدة التلفاز، وخلال استماعنا لآرائهم كان يمكننا الإحساس بمدى عمق مشاعرهم نحو التلفاز، وفي النهاية وعندما بدأت طاقتهم تنفذ قلنا: «الآن دعونا نرى ما إذا كنا فهمنا حقيقة ما ذكرتموه لنا الآن»، ثم شرعنا في إعادة توضيح كل ما سمعناه فعلاً بأنه هو ما قالوه، وعندما سألناهم: «هل تشعرون حقيقة أننا نفهم وجهة نظركم؟» اتفقوا جميعاً على أننا نفهمها، ثم قلنا لهم: «الآن نود منكم أن تفهموا من أي نقطة انطلقنا»، وكان ردهم غير إيجابي بشكل كبير: «إنكم تريدون إبلاغنا بكافة الأشياء السلبية التي يقولها الناس عن مشاهدة التلفاز»،



و«إنكم تريدون أن تنزعوا مقبس الكهرباء عن التلفاز، وتحرمونا من أداة الترفيه الوحيدة التي أمامنا بعد كل الضغوط التي نتعرض لها في المدرسة»، واستمررتنا نصت لهم بتعاطف.

ثم أكدنا لهم أن هذا لم يكن قصدنا على الإطلاق، وقلنا: «في الحقيقة، عندما شرعنا في مناقشة هذه الأمور معاً فإننا قررنا أن نترك لكم المجال ونترككم تقرررون ما ينبغي عمله بشأن مشاهدة التلفاز، ونسألكم: ما هو شعوركم إزاء مقترحات محددة بشأنه»، قالوا: إنكم تمزحون، ماذا لو كان قرارنا مخالفاً لما تريدونه؟»، فأكدنا لهم: «سوف نحترم قراركم، وكل ما نطلبه أن تكونوا جميعاً متفقين بشأن توصياتكم بما يجب أن نفعله تجاه التلفاز»، وأمكنا رؤية تعبيرات على وجوههم تبين أن الفكرة قد راقتهم؛ ولذا فقد عرضنا عليهم المعلومات الخاصة بتأثير التلفاز، وشعر الأطفال بأن هذه المادة ستكون لها أهميتها في قرارهم القادم؛ لذا فقد أنصتوا باهتمام بالغ.

وبدأنا في قراءة بعض الحقائق المفزعة، مثل تقرير أشار إلى أن متوسط مشاهدة الأولاد دون الثامنة عشرة للتلفاز ست ساعات يومياً، وبذلك فعندما ينهي الشاب الأمريكي الدراسة الثانوية فسيكون قد أمضى 13000 ساعة في المدرسة و16000 ساعة أمام التلفاز، وخلال هذه الأعوام الثمانية عشرة سيكون قد شاهد آلاف حالات القتل، سواء في الأفلام أو في الأخبار، وذكر تقرير آخر أن التلفاز أصبح أكبر قوة اجتماعية مؤثرة على حياة الأمريكيين - أكثر من التعليم - وتقلص الوقت الذي يتم قضاءه في التواصل بين أفراد الأسرة بشدة بسبب التلفاز، وأشرنا إلى التناقض بين ما يدعيه بعض مخرجي المسلسلات التلفزيونية الذين يزعمون عدم وجود دليل علمي يربط بين مشاهدة التلفاز والسلوك، واستشهدنا بدليل يظهر مدى التأثير القوي لإعلان تجاري مدته 20 ثانية على السلوك الشرائي لدى الأمريكيين، وقلنا لهم إن الإعلان - حتى ولو كان لمدة 60 ثانية - سيدرك المشاهد أنه إعلان، وقد يتجاهل ما يراه فيه، فدفاعاته تكون متيقظة، ويتعامل معه على أنه مجرد إعلان يتعذب بسببه المرة تلو الأخرى، أما عند مشاهدة مسلسل أو برنامج تلفزيوني فإن دفاعاته تكون خاملة، ويصبح قابلاً للاستثمار عاطفياً، ومعرضاً للهجوم والتأثر بما يشاهد.

وأخبرناهم بما قاله أحد الكتاب أن ما يحدث عندما يصبح التلفاز هو موجه الأطفال عند الوالدين الذين لا يأخذون حذرهم مما يشاهده أطفالهم، فإنه في هذه الحالة تصبح



المشاهدة غير الخاضعة لرقابة الوالدين مثل دعوة غريب إلى منزلك لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يومياً ليخبر الأطفال بكل شيء عن العالم المنحرف وعالم الجريمة والجنس، ويخبرهم أن العنف هو الذي سيحل مشكلاتهم، ويخبرهم أن كل ما يحتاجه أي فرد ليكون سعيداً هو زجاجة البيرة الجيدة والسيارة السريعة والمظهر الأنيق والمزيد من الجنس، وبالطبع فإن الوالدين غير موجودين عندما يحدث كل هذا؛ لأنهم يعتمدون على أن التلفاز يجعل الأطفال هادئين ومستمتعين، ويقول الكاتب: إن هذا الزائر قد يتسبب في الكثير من الضرر خلال هذه الزيارات اليومية الطويلة، فضلاً عن أنه يزرع إدراكات خاطئة وقيماً غير سوية لا يمكن لأحد أن يغيرها بعد ذلك، ويسبب مشكلات مع بعض الأطفال لا يستطيع أحد حلها.

وربطت إحدى الدراسات الحكومية في أمريكا بين مشاهدة التلفاز وكون المرء بديناً وعدوانياً ومحبطاً، واكتشف الباحثون أن الذين يشاهدون التلفاز لمدة أربع ساعات أو أكثر يومياً كانوا أكثر تعرضاً لاحتمال تدخين السجائر من غيرهم، وأكثر احتمالاً لأن يصبحوا حاملين بديناً من الذين يشاهدونه لمدة ساعة واحدة يومياً.

وبعد مناقشة لمظاهر التأثير السلبي لمشاهدة التلفاز المتزايدة تحولنا إلى بعض الأشياء الإيجابية التي نستطيع عملها إذا غيرنا عاداتنا، مثل زيادة وقت حواراتنا مع بعضنا، وأن نتحدث وقتاً أطول في كل المواضيع التي تهمهم، وأشارت دراسة أخرى أن الأسر التي حدّت من مشاهدة التلفاز إلى ساعتين يومياً بحد أقصى -عن طريق الانتقاء الجيد للبرامج- وجدت فعلاً هذه التغيرات المهمة في العلاقات الأسرية:

- عملت هذه الأسر بكفاءة أكبر على تعليم وتعزيز وترسيخ القيم، وتعلمت كيفية التفكير معاً.
- العلاقات بين الوالدين وبين الأولاد الشباب تحسنت داخل الأسرة.
- الواجب المنزلي يتم في أقل وقت ممكن.
- الحوارات الشخصية زادت بشكل ملحوظ.
- تصورات الأطفال أصبحت واقعية، ولم يعودوا يعيشون في عالم خيالي.
- كل فرد في الأسرة أصبح أكثر انتقائية، وأحسن تمييزاً وتقييماً للبرامج.



• عادت القراءة الجيدة وأصبحت بديلاً لساعات المشاهدة.

بعد أن تقاسمنا معهم هذه المعلومات نهضنا وتركنا الغرفة، وبعد ساعة دعوناهم للعودة لمعرفة القرار .. إحدى بناتنا قدمت لنا فيما بعد تقريراً وافياً عما حدث في هذه الساعة المهمة، وقالت: إنه بعدما غادرنا الحجرة قام إخوتها باختيارها لتنظيم المناقشة .. لقد أدركوا أنها مؤيدة لمشاهدة التلفاز، وكانوا متحفزين لقرار سريع، في البداية كان الاجتماع مشوشاً؛ فكلهم كانوا يرغبون في الحديث والتعبير عن وجهة نظرهم في عملية تقليص ساعات مشاهدة التلفاز بما يمكنهم من الحصول على قرار متحرر، ورغبة منهم في إرضاء الأبوين اقترح أحدهم أن يعد كل منهم أن ينهي واجباته المنزلية دون إبطاء، ودون أن يقوم أحد بتنبههم لذلك.

ولكن عندئذٍ تحدث أخوهم الأكبر، واستمع إليه كل فرد عندما قال: إن المعلومات التي سمعها أثرت عليه، وأنه يشعر أن كثرة مشاهدة برامج معينة في التلفاز وضعت أفكاراً في عقله لم يكن يرغب فيها، وشعر أنه ربما يكون الحال أفضل إذا ما شاهد التلفاز بدرجة أقل، وقال أيضاً: إنه يشعر بأن أخاه الأصغر يشاهد أشياء أسوأ من التي كان يشاهدها وهو صغير، وبعد ذلك تحدث هذا الصغير وأخبر إخوته عن فيلم رعب شاهده وجعله يشعر بالفرع عندما دخل السرير كي ينام، ولم يستطع النوم بسهولة لعدة أيام، عند هذه النقطة أصبحت أجواء الاجتماع أكثر جدية، ومع مواصلة الأطفال حكاية السلبات التي حدثت لهم عند مشاهدة أفلام أو برامج معينة، بدأ تدريجياً إحساس جديد في الظهور، فقد بدأوا في التفكير بشكل مغاير، وأحسوا أن بعض برامج التلفاز ربما يكون لها تأثير ضار فعلاً، وأن هناك برامج محددة فقط هي التي يرغبون في متابعتها.

وهنا قال واحد منهم: إنه يجب بدلاً من التحدث عن قدر الوقت الذي نقضيه في المشاهدة يومياً، فإن الأفضل الكلام عن الأسبوع ككل، وقال: إنه في بعض الأيام لا يشاهد التلفاز على الإطلاق، وفي أيام أخرى يفضل مشاهدته ساعتين أو ثلاث لمتابعة برامج ومباريات معينة؛ لذا قرروا أن تحديد عدد الساعات التي يقضونها في مشاهدة التلفاز أسبوعياً أفضل من عدد الساعات يومياً، والبعض رأى أن عشرين ساعة أسبوعياً قد تكون معقولة



جدًّا، وفي النهاية اتفقوا جميعًا على أن عشر ساعات أسبوعيًّا ستكون مناسبة تمامًا، وفي بعض الأوقات - مثل أيام البطولات الرياضية - قد تزيد إلى عشرين ساعة أسبوعيًّا.

يقول كوفي: إنه كان سعيدًا جدًّا بهذا القرار هو وزوجته، وأن هذا القرار كان نقطة تحول في حياة أسرته؛ فقد بدأوا في التفاعل بشكل أكبر، والقراءة بشكل أكبر أيضًا، وفي نهاية الأمر وصلوا إلى مرحلة لم تكن فيها مشاهدة التلفاز بمثابة قضية، واليوم باستثناء الأخبار وأفلام المناسبات والأحداث الرياضية وبعض البرامج التي تعطي المشاهد معلومات مفيدة، فإنهم بالكاد يقومون بتشغيله، ويقول: إنها بقيامهما بإشراك أطفالهما في المشكلة جعلاهم مشاركين أيضًا في إيجاد الحل، ولأن الحل كان هو قرارهم فقد ساعدوا على إنجاحه، ولم يصبحا قلقين إزاء حب استطلاعهم أو رغبتهم في المشاهدة في الأوقات التي لا يكون الوالدان في البيت، ولم يصبحا قلقين على إبقائهم في المسار الصحيح، كما أنها بمشاركة المعلومات إزاء عواقب المشاهدة التلفزيونية المبالغ فيها كانا قادرين على التحرك فيما وراء أسلوبنا أو أسلوبهم، وأصبحا قادرين على التعامل على أساس المبادئ الداخلية في القضية، وأصبحا قادرين على التأثير في العقل الجمعي والفردى لكل فرد مشارك، فضلًا عن قدرتها على مساعدتهم في إدراك أن الالتزام بقرار اتخذوه بملاء إرادتهم يحقق منفعة مؤكدة لكل الأطراف، وكان هذا أكبر من الالتزام بجعل كل فرد يشعر بسعادة مؤقتة بالنتيجة؛ لأنه التزام بالمبادئ، لأن الحل غير القائم على مبادئ لا يكون في صالح أي أحد على المدى البعيد.

## 7- تدريب على التعاون:

إذا أردت رؤية تأثير العادتين الخامسة والسادسة ونتيجتها على أسرتك، بعد أن تكون قد شرحتها لأفراد الأسرة ووافقوا أن يعملوا بها فلتقم بالتجربة التالية:

اختر قضية أو مشكلة بحاجة إلى حل، على أن تكون مشكلة تختلف حولها آراء أفراد أسرتك ووجهات نظرهم، وحاولوا معًا الإجابة عن الأسئلة الأربعة التالية:

1- ما المشكلة من وجهة نظر كل فرد؟ استمع بتعاطف إلى كل فرد بنية الفهم لا بنية إيجاد الحل؛ وذلك حتى يتمكنوا من التعبير عن وجهة نظر كل فرد فيهم بالدرجة التي ترضيه، وركّز على اهتمامات كل منهم لا على مواقفه.





نجد أن الخصائص التي تحدد طبيعة كل مادة من المادتين المتكاملتين تظل كما هي دون تغيير، وإنما تتعاونان مع بعضهما البعض بأسلوب مختلف، وفي هذا التعاون (التكامل) يكون التعاون بين الناس - وليس خلق بديل ثالث جديد- هو جوهر العلاقة.

إن هذا المدخل يتطلب وعياً كبيراً بالذات؛ فعندما يكون هناك شخص على وعي بضعفه، فإن هذا الشخص يوجد بداخله التواضع الكافي سعياً وراء قوة شخص آخر لتعويض هذا الضعف، وعندئذٍ يصير هذا الضعف قوة عندما يتكامل مع قوة الشخص الآخر؛ لأنه هو الذي يُمكن التكامل من الحدوث، وعندما لا يكون الناس على وعي بضعفهم، ويتصرفون كما لو كانت قواهم وحدها كافية، فإن نقص قواهم عن إدراك المطلوب سيصبح ضعفاً، ويكون فشلهم الذريع من جرّاء نقص التعاون.

فعلى سبيل المثال: إذا ما كانت قوة الزوج تكمن في شجاعته وشخصيته القيادية، ولكن الموقف مع ابنه المراهق يتطلب العطف والصبر، حينئذٍ يمكن لقوته أن تصبح ضعفاً عند محاولة حل المشكلة، وإذا كانت قوة الزوجة تكمن في حساسيتها وصبرها وكان الموقف يحتاج إلى قرارات وتصرفات حاسمة فإن قوتها تصبح ضعفاً، وإذا ما كان كلا الزوج والزوجة على وعي بقوتها وضعفها، وكان لديهما التواضع للعمل كفريق متكامل، حينئذٍ فإن كلا من قوتها وضعفها يمكن أن يتكاملا بشكل جيد في كل المواقف، وتحدث نتيجة تعاونية؛ ولكنه تعاون التكامل وليس التكتاف والتآزر الذي ينتج حلولاً إبداعية جديدة، وعندما يختار شخص أن يتكامل مع شريكه في الحياة فإنه يقول: إن دوري ليس انتقاده؛ بل التكامل معه، واختيار هذا الشخص أن يكون مكماً لشريكه يتطلب أماناً شخصياً كبيراً واستقلالاً عاطفياً، وهذا يمكن أن يعمل كل الأزواج والزوجات، ويفعله كلاهما والأبناء مع بعضهم البعض، وباختصار فإن التكامل يعني أن نقرر أن نكون نوراً هادياً، قدوة لا نقاداً، دعاة لا قضاة.

وعندما يكون الناس متقبلين للتغذية الراجعة، بغض النظر عن القوة والضعف، وعندما يكون لديهم أمان داخلي كافٍ، فإن هذه التغذية لن تدمرهم عاطفياً، وإنما ستدلمهم على مواطن ضعفهم، وإذا كانوا يتمتعون بتواضع كافٍ لرؤية قوة الآخرين والعمل معهم كفريق، فإن أشياء رائعة تبدأ في الحدوث، وبالعودة لمثال الجسد نجد أن اليد لا يمكن أن تحل محل القدم،



ولا الرأس محل القلب، ولا بد أن تعمل كلها معاً بأسلوب تكاملي، وهذا بالضبط ما يحدث مع فريق كرة قدم كبير أو مع أسرة عظيمة، وهذا يتطلب قدرًا أقل من الاعتماد الفكري مقارنة بالتكاتف (وهو الشكل الآخر من التعاون)، وربما يتطلب أيضًا قليلًا من الاعتماد العاطفي، ولكنه يتطلب قدرًا كبيرًا من الوعي بالذات والوعي الاجتماعي والأمان الداخلي، فضلًا عن التواضع، وفي الحقيقة يمكننا أن نقول إن ذلك التواضع هو الجزء -الإيجابي- بين الجزأين اللذين يحققان هذا الشكل من التكامل.

إن التعاون الناجم عن التكامل الموجب ربما يكون هو النمط الشائع أكثر من التكاتف الإبداعي، وهو شيء يمكن أن يتعلمه حتى الأطفال الصغار.

### 7-2 ليست كل المواقف تتطلب تعاونًا:

الآن لا بد أن نوضح أنه ليست كل القرارات داخل الأسرة تتطلب تعاونًا؛ فقد يكون أحد الأطراف محتاجًا لشيء معين بشدة، فيستجيب الطرف الآخر رغم أن له رأيًا آخر، وإذا اتفق الزوجان أن يقولوا على مقياس من واحد إلى عشرة كيف تقيم احتياجك لهذا الأمر؟ فإذا كان التقييم ثمانية أو تسعة مثلاً، وكان تقييم الآخر لرأيه أو طلبه يقدره بثلاثة أو أربعة فإن الرأي الأول يصبح له وزن أكبر، ويتبنى الطرف الآخر رأيه دون أن يشعر أنه أضعف أو أن الآخر أقوى، وإنما أكثر احتياجًا لهذا الأمر، ويمكن أن يصل الطرفان إلى تسوية سريعة، ويمكن تطبيق نظرية الأوزان النسبية بعينها فيما يتعلق بالأولاد عندما يكونون مختلفين حول المكان الذي سيقصدونه لتناول العشاء أو لقضاء إجازة الصيف، فيمكن أن يكون السؤال: ما أهمية ذلك بالنسبة لك؟ أين أنت على المقياس من واحد لعشرة؟ يمكن أن يكون هذا السؤال هو مفتاح الحل .. إذا حاول الجميع إظهار الاحترام للاحتياجات الأقوى أو الأكثر إلحاحًا، فسيكون هذا تطويرًا للنمط من الديمقراطية يعطي احترامًا لعمق الشعور الناجم عن رغبة أو احتياج شخص بما يجعل صوته / صوتها ذا ثقل أكبر.

ولكن لا بد من الإحساس بالمسئولية عند إعطاء تقييم الاحتياجات .. لا بد أن يكون فرد الأسرة يحتاج هذا الأمر فعلاً، أو يرغب فيه بشدة، ولا يفعل ذلك فقط ليعند مع أخيه أو أخته.



### 7-3 ثمرة التعاون لا تقدر بثمن:

إن تفعيل العادتين الخامسة والسادسة سيكون أداة مؤثرة لحل المشكلات، كما أنها ستتيح كشوف حساب لما يتم إنجازه من مهمة الأسرة، وستؤدي إلى إيجاد أوقات ممتعة لها، وغالباً ما يُدرّس كوفي العادتين الخامسة والسادسة قبل الثانية والثالثة؛ لأنها تغطيان نطاقاً كاملاً للحاجات من أجل التعاون داخل الأسرة، وبداية من أبسط القرارات اليومية إلى أعمق القرارات التي تمس الأسرة، فإن معظم القضايا المحتملة أن تكون سبباً للخلاف ومشحونة عاطفياً يمكن حلها باستخدام هاتين العادتين.

ويضرب كوفي مثلاً لكيفية تفعيل هاتين العادتين حتى عند من يدرسون ماجستير في إدارة الأعمال (MBA)، فيقول: إنه عرض تفعيل هاتين العادتين عند مناقشة موضوع حساس هو «إباحة الإجهاض»، وطلب حضور شخصين لمقدمة القاعة الدراسية؛ أحدهما معارض لإباحة الإجهاض والآخر مؤيد له، وكل منهما مقتنع جداً بموقفه، وكان يتوجب عليهما لتفعيل هاتين العادتين التفاعل مع بعضهما البعض أمام المائتي طالب من طلبة الماجستير، وكان كوفي هو الحكم الذي يقرر ما إذا كانا قد مارسا عادات الاعتماد المتبادل بطريقة فعالة، والمتمثل في المكسب المشترك والسعي أولاً للفهم ثم التعاون التكاملي، والحوار التالي يلخص جوهر هذا التبادل:

كوفي: هل يرغب كلاكما في السعي لحل فيه المكسب المشترك؟

الأول: إنني لا أعرف ما الذي قد يحدث، أنا لا أشعر أنها ...

كوفي: انتظر لحظة، أنت لن تخسر فكلاكما سيكسب.

الثاني: لكن كيف يمكن حدوث ذلك؟ إذا كان أحدنا يكسب فالآخر بالتالي سوف

يخسر.

كوفي: هل ترغبان في التوصل لحل يشعر كلاكما بالرضا تجاهه، حل أفضل مما تفكران فيه

الآن؟

الأول: خذ بالك أنا لن أذعن ولن أستسلم أو أقبل بتسوية، الحل يجب أن يكون أفضل

مما عندي.



الثاني: أنا لا أعرف ما الذي قد يحدث لكنني لا أمانع.

كوفي: أنا أفهم، كلاهما لن يدعن أو يستسلم، كلاهما سيسعى إلى إيجاد الحل الأفضل.

الأول: إنني لن أساوم.

كوفي: بالطبع، يجب أن يكون الحل أفضل مما لديك، تذكر الآن القواعد: حاول أن تفهم

أولاً، لا يمكنك أن توضح موقفك حتى يقر هو بأن موقفه قد انضح لك بشكل يرضيه.

ومع ذلك ومع بدء الحوار أخذ كلاهما في مقاطعة الآخر، فقلت: انتظرا لحظة، أنا لا

أعرف ما إذا كان الشخص الآخر يشعر بأنه مفهوم أم لا، هل تشعر بأنك مفهوم؟

الأول: بالطبع لا.

كوفي: حسناً أنت لم تستطع أن توضح موقفك، وأنت لم تعطه الفرصة الكافية للتوضيح.

يقول كوفي: لا يمكن أن تصدق كمية العرق التي كانت تتصبب من هذين الشخصين، لم

يستطيعا التوصل لوقت ليس بالقصير، كلاهما حكم على الآخر من البداية تماماً؛ لأنها تبنيا

موقفين على طرفي نقيض من المشكلة نفسها، ولكن بعد خمسة وأربعين دقيقة بدء بالفعل في

الاستماع لبعضهما، وكان لهذا تأثير عظيم عليهما -شخصياً وعاطفياً- وكذلك على

الحاضرين، وأثناء استماع كل منهما بصراحة وتعاطف للحاجات والمخاوف والمشاعر التي

تحتاج البنات إزاء هذه القضية الحساسة، فإن روح التفاعل بأسرها تغيرت؛ فالناس المؤيدون

لإباحة الإجهاض والمعارضون له بدأوا في الشعور بالخجل إزاء حكم كليهما على الآخر،

وتصنيفه له تصنيفاً غير منصف، وإدانتته له لمجرد أنه يفكر بنهج مختلف .. لقد ظهرت

الدموع في عيني هذين الشخصين اللذين كانا في مقدمة القاعة، وكذلك كان حال العديد من

الحاضرين، وبعد ساعتين قال كل واحد منهما عن الآخر: أنا لم أكن أدرك أن هذا ما يعنيه

موقفه إطلاقاً .. نحن لم يكن لدينا أي فكرة عما يعنيه أن تنصت جيداً للآخرين، والآن فهمنا

لماذا كان يشعر كلاهما بالحالة التي كانا عليها في بداية المناظرة.

**خلاصة القول:** إنه لا أحد حقيقة يريد الإجهاض إلا في حالات استثنائية للغاية، لكن

كل فرد كان قلقاً عاطفياً إزاء الحاجات الملحة، والألم العميق للأشخاص المعنيين بهذا

الموقف، وكلهم كانوا يحاولون حل المشكلة بأنسب وسيلة يرونها ممكنة لذلك .. الوسيلة



التي يعتقدون حقيقة أنها تلبى احتياجاتهم، وبمجرد أن عبّر الشخصان المتحدثان عن موقفيهما، واستمع كل منهما لحقيقة الآخر، وفهم كل منهما مخاوف ونية الآخر، صارا قادرين على بدء العمل معاً لصياغة ما يمكن عمله، وبعيداً عن اختلاف وجهات نظرهما فإن تعاوناً غير معقول نشأ بينهما، واندحشا إزاء الأفكار التعاونية التي تجمعت عند تفاعلها معاً، وخرجا بعدد من البدائل الإبداعية، بما في ذلك رؤى جديدة تتعلق بالوقاية والتبني والتعليم الجنسي (إيضاح الحقائق للبنات؛ لكيلا يقعن في هذه المشكلة).

والحقيقة أنه لا يوجد موضوع غير ذي صلة أو علاقة بالتكامل التعاوني، وطالما أنك تستخدم العادتين الخامسة والسادسة، وطالما أنه يمكنك القيام بالمزج بين الاحترام المتبادل والتفاهم والتعاون التكاملي والتعاون الإبداعي، فسوف تجد مستويات مختلفة من الإنجاز في كلتا هاتين العادتين.

فالتفاهم العميق يؤدي إلى الاحترام المتبادل، وهذا بالتالي يأخذك إلى مستوى أعمق من التفاهم وهكذا، فإذا ما تابرت على فتح كل باب جديد تمر عليه، فإن المزيد والمزيد من الإبداع سوف ينطلق والرابطة سوف تقوى.

ويقول كوفي: إن من الأسباب التي أدت إلى نجاح هذه التجربة بالنسبة لطلاب ماجستير إدارة الأعمال (MBA) هو أن كل فرد من الحاضرين شارك فيها مشاركة فعلية؛ مما أوجد مستوى متكاملًا وجديدًا من المسؤولية بالنسبة للشخصين الذين كانا في المقدمة، والشيء نفسه بالنسبة للأسرة، فعندما يدرك الوالدان أنها يقدمان أحسن نموذج لحل المشكلات بينهما لأطفالهما، فالوعي بهذا الدور الإشرافي ينجح في تمكين الجميع من أن يعلو فوق رغباتهم ومشاعرهم، وأن يتخذوا طريقاً أسمى سعيًا وراء الفهم الحقيقي، وإلى السعي بشكل إبداعي وراء الخيار الثالث.

إن عملية إنشاء التعاون تتسم بالتحدي والإثارة، وبالتالي تنجح، ولكن لا تياس إذا لم تكن قادرًا على حل أعمق تحدياتك طيلة الليلة، تذكر كيف أننا كلنا نتأثر بسرعة، فإذا ما وجدت بداخلك أشد وأكثر القضايا عاطفية، فربما يمكنك أن تنحّيها جانبًا لبعض الوقت، وتعود إليها في وقت لاحق، وحاول أن تعمل على حل أيسرها أولاً؛ فالانتصارات الصغيرة تؤدي إلى الانتصارات الكبيرة، فلا تهمل أيًا من القضايا الصغيرة، وإذا استدعى الأمر فلتعد إلى القضايا الصغيرة لتحلها أولاً، ولا تصبح محبطًا إذا ما كنت الآن في علاقة يبدو فيها التعاون كما لو كان حلماً مستحيلًا؛ فلقد اكتشف الخبراء أنه عندما يصل للناس أن مذاق



العلاقة التعاونية الحقة يمكنه أن يكون رائعاً فسيستتجون أنه لا سبيل أمامهم - كي يحصلوا على هذا النمط من العلاقة مع أقرانهم - إلا أن يفكروا أن أملهم الوحيد هو أن تتعاون وتتكامل مع شخص آخر، ولكن مرة أخرى تذكر شجرة البامبو الصينية (تزرعها فتظل أربع سنوات لا ترى منها إلا نبتة صغيرة، ثم في السنة الخامسة تنمو ليصل ارتفاعها إلى أكثر من عشرين متراً).

### 8. المكسب المشترك في تربية نباتك؛

إن بعض ذوي العقول الضعيفة يفضلون البنين على البنات، رغم أن البنات هن المؤمنات، كما قال ﷺ: «لا تكروهوا البنات؛ فإنهن المؤمنات الغاليات» (رواه الطبراني)، ويعلم ذلك جيداً الشيوخ، وخاصة الذين فقدوا زوجاتهم، فلا يسأل عنهم ولا يراعي شئونهم إلا بناتهم؛ لأن البنين مشغولون بعائلاتهم، وإنجاب البنات يؤدي إلى صب البركة على الأسرة صباً، وهي حقيقة يعرفها كل من يحدث بنعمة الله، ولا يُقصرها على المال، وقد روى الطبراني عن أنس بن مالك ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكاً يزف البركة زفاً، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها مُعان إلى يوم القيامة، وإذا ولد الغلام بعث الله إليه ملكان من السماء فقبلا بين عينيه وقالا: الله يقرؤك السلام».

وحسن تربية البنات يحقق المكسب المشترك؛ حيث تخرج الفتاة إلى المجتمع وهي محصنة بدينها وتقواها، مزدانة بعلمها وأخلاقها، ويحصل أبواها على النعيم المقيم في الآخرة، فقد روى الطبراني في الأوسط بسنده عن أنس ؓ قال رسول الله ﷺ: «ما من أمتي أحد يكون له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات حتى يُبَيِّنَ (أي ينفصلن عنه بالزواج) أو يمتن إلا كان معي في الجنة هكذا وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى»، وروى الخرائطي بسنده عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وامرأة سعفاء ذات منصب وجمال حبست نفسها على بناتها حتى بانوا (تزوجوا) أو ماتوا في الجنة كهاتين»، وروى الديلمي بسنده عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «البنات هن المشفقات المجهزات المباركات، من كانت له ابنة واحدة جعلها الله له سترًا من النار، ومن كانت له ابنتان أدخل الجنة بهما، ومن كانت عنده ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة».

